صبية صغارا واهلا جياعا وقد ارقت ماء وجهى فى شى من البلغة لهم وقد اقدمنى سوء الحظ
على الملك فى هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقرّ الى وفيه الصبية والاهل وهم على شفا تلف من
الطوى ولن يتفاوت الحال فىّ بين اول النهار وآخره فان راى الملك فى ان يأذن لى ان اوصل
اليهم هذا القوت واوصى بهم اهل المروءة من الحى لئلا يهلكوا ضياعا ثم اعود الى الملك فاسلم
نفسى لنفاذ امره فلما سمع صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلفه على ضياع اطفاله رق
لحاله غير انه قال له لا آذن لك الا ان يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن
عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائى الى شريك وقال له

يا شريك بن عدى … ما من الموت انهزام
من لاطفال ضعاف … عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار … وافتقار وسقام
يا اخا كل كريم … انت من قوم كرام
يا اخا النعمان جدلى … بضمان والتزام
ولك الله بانى … راجع قبل الظلام

قال شريك بن عدى اصلح الله الملك على ضمانه فمر الطائى مسرعا وصار النعمان يقول
لشريك ان صدر النهار قد ولّى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتى المساء
فلما قرب المساء قال النعمان لشريك جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال له شريك هذا شخص قد لاح
مقبلا وارجو ان يكون الطائى فان لم يكن فامر الملك ممتثل فبينما هم كذلك واذا الطائى قد
اشتد فى عدوه مسرعا حتى وصل وقال خشيت ان ينقضى النهار قبل وصولى ثم وقف قائما
وقال ايها الملك مر بامرك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رايت اعجب منكما اما
انت يا طائى فما تركت لاحد فى الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به واما انت يا شريك
فما تركت لكريم سماحة يذكر بها فى الكرماء فلا اكون انا الام الثلاثة وانى قد دفعت يوم بؤسى
عن الناس ونقضت عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم شريك فقال الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى … فعددت قولهم من الاضلال

الى امرء منى الوفاء سجية … وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال دينى ومن لا وفاء فيه لا دين له
فاحسن اليه النعمان ووصله بما اغناه واعاده مكرما الى اهله وانا له بما تمناه **ومن ذلك**
ما حكى ان الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام واطلق
حكمه فدخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال يا امير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى
ولد ابى طالب وهواه مع العلويين وكذا كان ابوه قبله فحصل عند المأمون شى من كلام اخيه
تشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله فى زى الزهاد والنساك العباد
ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال امض الى مصر وخالط اهلها واستملهم الى القاسم بن محمد
العلوى واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن
طاهر وادعه الى القاسم بن محمد العلوى واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته وأتنى بما
تسمع ففعل ذلك الرجل ما امره به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من اهلها ثم كتب ورقة
رقعة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس فى مجلسه
خرج الحاجب وادخله على عبد الله وهو جالس وحده فقال له قد فهمنا ما قصدته فهات
ما عندك فقال ولى الامان قال نعم قال فاظهر له ما اراده ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله
اوتنصفنى فيما اقول لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة
قال نعم قال فيجب على وانا فى هذه الحالة التى تراها من الحكم والولاية والعهد والنعمة ولى خاتم
فى المشرق وخاتم فى المغرب وامرى فيما بينهما مطاع وقولى مقبول ثم انى التفت يمينا وشمالا
فارى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فايضا على افتدعونى الى الكفر بهذه النعمة وتقول اعد
وجانب الوفاء والله لو دعوتنى الى الجنة عيانا لما عدوت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له
فسكت الرجل فقال له عبد الله ما اخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما ايس الرجل منه
وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فاخبره صورة الحال فسره ذلك وزاد فى احسانه
اليه وضاعف انعامه عليه **ومما يعد من محاسن الشيم** ومكارم اخلاق
اهل الكرم ويحثه على الوفاء بالعهود والذمم ما رواه حمزة بن الحسن الفقيه فى تاريخه

Copyright King Saud University